خارج المدى

منجم عراقي للعلم والمعرفة

اقبال محمد عباس

طه باقر العالم الاثاري كان قد ولد في مدينة الحلة ودرس النحو والصرف فيها ودخل المدارس الرسمية وتخرج من الثانوية المركزية في بغداد عام ١٩٣٢ وكان من الاوائل الأربعة على العراق، واصل تعليمه لنيل شهادة (متريكوليشن) في كلية صفر بفلسطين، ثم درس في جامعة بيروت الأمريكية اعوام ١٩٣٢م - ١٩٣٣م ثم سافر إلى الولايات المتحدة فنال شهادة البكلوريوس والماجستير عام ١٩٣٨م من جامعة شيكاغو.

عرف عنه حبه الجارف للكشف عن الاثار والرقم وبقايا الحضارات القديمة وامتاز بعمق دراسته وبراعته في قراءة اللغات القديمة وفك رموزها واعظم انجازاته هي الترجمة الدقيقة والامينة لـ "ملحمة كلكامش" التي صدرت باربع طبعات بالعربية، ويعد منجزه الفكري (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) وكتاب (مقدمة في ادب العراق القديم) عملاً اكاديمياً متكاملاً، إضافة إلى مؤلفه (موجز في تاريخ العلوم والمعارف القديمة والحضارة العربية الاسلامية) و (المرشد إلى مواطن الاثار) إضافة لامعة في علم الاثار.

تناول العلامة طه باقر مختلف المواقع الاثارية بالدراسة والتحليل والكشف مثل مناطق (عقرقوف) و(تل حرمل) وعصور ما قبل التاريخ في وادي الرافدين إضافة إلى مساهمته الواسعة في مجلة (سومر) ونشاطه في المجمع العلمي العراقي وشغل إضافة إلى اعماله الفكرية مناصب ادارية متنوعة فعمل مديراً عاماً للاثار ونائباً لرئيس جامعة بغداد مع الدكتور عبد الجبار عبد الله رئيس الجامعة بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م. وساهم في تأسيس متاحف لبعض البلدان العربية كالمتحف الليبي أثناء فترة عمله هناك أعوام ١٩٦٥ - ١٩٧٠، ثم عمل في ميدان التدريس في جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم الآثار عام ١٩٧١،

كان موسوعياً في ثقافته التي توزعت بين التاريخ واللغة والفن وتاريخ الانسان والفلك. امتلك معرفة قديرة في اتقان اللغات ومقارنتها فاتقن العربية والانكليزية والفرنسية والألمانية إضافة إلى لغات العراق القديم وعرف عنه الانفتاح الذهني وابتعاده عن التعصب واحترام الرأي الآخر. كان شغوفاً باللغة العربية الأمر الذي دفعه إلى تأليف مؤلفه (من تراثنا اللغوي القديم) عام ١٩٨٠،

عرفت عنه علاقته النوعية مع ملحمة كلكامش وتأمل حيرته في موضوع الخلود والأزل والأبد وانهمك في دراسة السبب والعلة، وطلع علينا بازدواجية اللغة في العراق القديم وقال في مقدمة ملحمة كلكامش (من الحقائق التاريخية المعروفة في تاريخ حضارة وادي الرافدين بجميع أدوارها إنها كانت من الناحية اللغوية "مزدوجة اللغة" أو ثنائية اللغة هما السومرية والأكدية. البابلية والآشورية). وأشار إلى أنه لا يمكن فهم النصوص الأدبية في مدونات وادي الرافدين بوجه عام إذا لم يحسب لهذا الازدواج اللغوي حسابه سواء أكان من ناحية ترجمة هذه النصوص الأدبية من السومرية إلى اللغة البابلية والآشورية أم من ناحية تأثر النتاج البابلي بأصول سومرية. وقال طه باقر أن الأكديين كتبوا لغتهم بالخط المسماري الذي اخترعه السومريون، مما تطلب الإلمام بالكلمات السومرية، لتقييم العلامات المسمارية. الأمر الذي استتبع عنه ظهور أقدم المعاجم اللغوية في تاريخ الحضارات لشرح المفردة السومرية والعلامات المدونة بها في مفردات أكدية.

العلامة طه باقر رائد من رواد علم الاثار في العالم ومؤلفاته تعني مصدراً مهماً من مصادر علم الآثار والحضارات والتاريخ القديم. ورغم كونه أستاذاً في كلية الآداب ودار المعلمين العالية لكنه ظل متعلقاً بالعمل الميداني، في مجال التحري والتنقيب فترأس بعثة للتنقيب في موقع (تل الدير) وعقرقوف أعوام ١٩٤١ - ١٩٤٧، وأشرف على التنقيب في (تل حرمل) و(تل الضباعي) في بغداد ١٩٤٥ - ١٩٦١ وأشرف على التنقيبات في حوض سد دوكان وسد دربندخان أعوام ١٩٥٦ - ١٩٦١، إضافة إلى أعمال الصيانة الأثرية في مدينة بابل سنة ١٩٥٨ - ١٩٦٣، قدم طه باقر مئات البحوث المنشورة وعمل رئيساً لتحرير مجلة سومر.

ويروي احد أصدقائه عنه انه رفض فتح المتحف العراقي لزائر بريطاني في يوم الجمعة رغم ان الامر بفتح المتحف كان من نوري السعيد رئيس الوزراء انذاك، ينطبق على طه باقر قول كلكامش في بداية ملحمته (هو الذي رأى كل شيء فغني بذكره يا بلادي).

لطه باقر جهد مميز في النظرة إلى الشخصية الوطنية من خلال سعيه الدائب إلى كشف عظمة ما قدمه العراقي القديم للبشرية عبر عصوره الحضارية المتعددة، وتجلى ذلك في ترجمته كتاب (من الواح سومر). الذي الفه الاختصاصي في المباحث السومرية الروسي الأصل الأمريكي الجنسية (صموئيل كريمر) وكلف طه باقر بترجمة هذا المؤلف وتناول المؤلف في كل فصوله منجز الحضارة الإنسانية مما قدمه العراقيون من اول مدرسة، اول برلمان، اول مؤرخ ومشروع دستور، واول التقاويم الزراعية، اول آراء في اصل الكون، آراء في التوراة، الحب، فهارس الكتب... ومن المعروف علمياً ان النمو السليم للشخصية الوطنية يتطلب معرفة ابعادها الزمنية في الماضي والحاضر والمستقبل بوجه الانكسارات المحتملة.

قال طه باقر في ملحمة كلكامش:

(لعلني لا ابالغ إذا قلت انه لو لم ياتنا من حضارة وادي الرافدين من منجزاتها وعلومها ومتونها شيء سوى هذه الملحمة لكانت جديرة ان تتبوأ تلك الحضارة مكانة سامية بين الحضارات العالمية القديمة).

ان الملحمة تعطي مفاتيح مهمة لفهم شخصية الفرد العراقي، وحركة المجتمع الرافديني. لقد قدم وكشف جوانب مهمة في البناء السايكولوجي للمواطن العراقي القديم.

وفي عام ١٩٨٩ وبجهد الماني - مصري تم تقديم اول عمل مسرحي عن الملحمة في قاعة سيد درويش في القاهرة. وقدمت مرة أخرى على دار الاوبرا في القاهرة عام ١٩٩٠،

لقد ترك لنا (طه باقر) عشرين مطبوعاً بلغات متعددة وتمتاز كلها بالثراء العلمي وبلاغة الأسلوب وجماله، لقد اثرت المكتبة العربية والعالمية بمؤلفات لها قيمة كبيرة. وكان منجماً عراقياً في معارفه وتشوفاته ومن درر الإبداع الحريصه على حضارة وادي الرافدين.

طـــه بـــاقـــر في صـــور

د. صباح نوري المرزوك

الصورة الأولى: الإنسان

هو السيد طه بن باقر بن ناصر بن حسين بن علي بن محمد بن حسن بن هاشم بن عزام بن محمد بن عزام "الكبير" بن عبد الله بن قاسم بن ابي البركات بن قاسم بن علي بن عزام بن شكر بن أبي محمد الحسن الأسمر بن النقيب تاج الدين أحمد بن أبي الحسين علي بن أبي طالب محمد بن علي الشريف عمر بن يحيى بن الحسين النسابة بن أحمد المحدث بن أبي علي عمر بن يحيى بن الحسين ذو الدمعة بن زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام).

انتقل إلى بغداد فتخرج في الثانوية المركزية عام ١٩٣٢م، وكان ذلك على نفقة وزارة المعارف آنذاك في الفرع العلمي لأنه كان من الأوائل عندما أنهى دراسته في المدرسة المتوسطة وقد تخرج في الثانوية وهو من الأربعة الأوائل على ثانويات العراق وقد تزوج منذ أيام دراسته الثانوية ثم رشح ضمن بعثة لنيل شهادة (متريكوليشن) الإنكليزية في كلية صفد الفلسطينية ومن ثم مرحلة (السفمور) في جامعة بيروت الأمريكية ١٩٣٢-١٩٣٣ وهي مرحلة دراسة تحضيرية ثم سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية يرافقه الأستاذ فؤاد سفر لدراسة علم الآثار واللغات القديمة في المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو فنال شهادة البكلوريوس والماجستير فيها عام ١٩٣٨، والموضوعات التي درسها اثناء بعثته تمثلت بعلم الانثربولوجي (علم الإنسان) ومواد الآثار والتنقيب والتاريخ القديم واللغات التي كتبت بالخط المسماري كالسومرية والأكدية وفروعها البابلية والآشورية وايضاً اللغة العربية.. وقد مارس أعمال الحفر والتنقيب عن الآثار وهو لا يزال في أمريكا حيث ساهم بتنقيب إحدى المستوطنات القديمة في أمريكا مع طلاب قسم الانثربولوجي في جامعة شيكاغو.

يقول كوركيس عواد: حين عاد سنة ١٩٣٨ من دراسته علم الآثار في أمريكا كنت يومذاك أميناً لمكتبة المتحف العراقي فوجدت فيه مطالعاً غريباً ولا أغالي في القول أنه أصدق أصدقاء مكتبة المتحف فاطلع على كثير مما زخر به من أمهات المجلات والكتب الأجنبية المتصلة بعلم الآثار.

عين خبيراً فنياً في مديرية الآثار القديمة بغداد ١٩٣٨-١٩٤١ وقبل أن يتسلم منصبه أمين المتحف العراقي التحق بالخدمة العسكرية ومنح رتبة ضابط احتياط في الجيش العراقي وأنه قد شارك في ثورة مايس التحريرية وكان آنذاك ضمن القوات العراقية المقاتلة في موقع التاجي. وعندما وصلت القوات البريطانية إلى الموقع المذكور وبات سقوط بغداد أمراً لا تعرفه وقيام أعضاء الحكومة والجيش بترك مدينة بغداد أصبح الجيش المقاتل بلا موجه لذلك تراجع أفراده دون خطة مرسومة لهذا قام طه باقر بعبور نهر دجلة عند موقع التاجي سباحة كي يتفادى وقوعه بأيدي القوات البريطانية وبعد أن انتهت ثورة مايس تسرح من الجيش وعاد ليتسلم منصبه أمين عام المتحف العراقي الذي بقي فيه إحدى عشرة سنة وفي عام ١٩٥١ تعين معاون مدير الآثار العام.. حتى عام ١٩٥٨ حيث عين في العام نفسه مدير المنصب الجديد سوى أشهر معدودة حتى عين في العام نفسه مدير الآثار العام حتى عام ١٩٦٣ ومن المعروف أنه لم يكن فرحاً بهذه المناصب لسببين أثنين الأول أنه قد شغله كثيراً عن أبحاثه العلمية حيث أخبر طه باقر السيد محمد علي مصطفى المنقب الأول في العراق أن الخطأ الكبير الذي ارتكبه في حياته هو تقليده للمناصب الإدارية. والثاني عدم اهتمام المسؤولين الكبار في الدولة بالآثار وعدم تحمسهم لأهمية هذا الموضوع. وقد فضل الاشتغال في ليبيا لأنها تفتقر تماماً إلى الاختصاصيين بالآثار والتاريخ فتعين عام ١٩٦٥ بمنصب خبير فني في مصلحة الآثار الليبية ثم مستشاراً في المصلحة وترأس هنالك هيئة تحرير مجلة (ليبيا القديمة) وفي عام ١٩٧٠ طلب إليه رسمياً العودة إلى العراق.

الصورة الثانية: الجامعي

مارس التدريس الجامعي منذ عام ١٩٤١ حيث درس مادة التاريخ القديم والحضارة في دار المعلمين العالية حتى عام ١٩٦٠ وقام بتدريس مادة التاريخ القديم واللغات القديمة في قسم الآثار بكلية الآداب في جامعة بغداد ويرجع له الفضل الكبير في تأسيس هذا القسم عام ١٩٥١ وكان بلقب أستاذ مساعد ورقي إلى الأستاذية عام ١٩٥٩ وظل فيه حتى عام ١٩٦٣ وبعد عودته من ليبيا فضل التعيين في قسم الآثار واشرف على عدد من طلبة الماجستير منذ عام ١٩٧٢، ومن الجدير بالذكر أنه كان عضواً في المجلس التأسيسي لجامعة بغداد للفترة بين ١٩٥٧-١٩٥٨ وعضواً في مجلس جامعة بغداد ممثلاً عن وزارة المعارف للفترة من ١٩٦٠-١٩٦٣ إضافة إلى قيامه بمنصب نائب رئيس جامعة بغداد وفي عام ١٩٧٧ عين عضواً في إدارة مركز إحياء التراث العلمي العربي. وكان بإجماع الطلبة من الأساتذة أصحاب العلم الغزير وكان محبوباً من جهة ومهاباً من جهة أخرى وكان جدياً في حالات الجد ولطيفاً في حالات الانشراح.

الصورة الثالثة عالم الآثار

ترأس الهيئات الآثارية التي نقبت في مدينة واسط وموقع تل الدير (قرب اليوسفية) عام ١٩٤١ وفي موقع عقرقوف ١٩٤١-١٩٤٧ والهيئة التي نقبت في موقع تل حرمل في بغداد الجديدة للفترة من ١٩٤٥-١٩٦١ وفي موقع الضباعي القريب من تل حرمل عام ١٩٦٠ وأشرف على التحريات الأثرية الواسعة في منطقتي دوكان للفترة ١٩٥٦-١٩٥٩ ومنطقة شهرزور لإنقاذ الآثار وتسجيل الأدوار التاريخية فيها على إنشاء مشروعي السدين (دوكان ودربندخان) واشرف على أعمال الصيانة الأثرية في الكثير من المواقع ولاسيما موقع بابل.

ويذكر د. فوزي رشيد بأن طه باقر يتحول بعد انتهاء العمل إلى موظف بسيط من موظفي الآثار فيلتقي العاملين في مجال الحفر والصيانة في بابل لقاءات غير رسمية فيبدو فيها ذلك الإنسان البسيط المتواضع المرح المحب للطرفة بحيث إن أجمل ساعات المشتغلين في بابل كانت تلك الساعات التي يلتقون بها مع مديرهم العام خارج أوقات الدوام الرسمي، ويشير حميد المطبعي إلى أن طه باقر يرشد المشتغلين بالآثار إلى المظان المهمة في تاريخ الآثار ولاسيما المظان التي تبحث في اللغة السومرية وقواعدها - كما يؤكد د. بهنام أبو الصوف - ويضيف أن طه باقر نفسه كان مصدراً كبيراً يشع مصدراً مهماً يغذي في بهنام توقه إلى العلم والمعرفة عن طريق تجاربه أو من خلال أسلوبه في التدريس الذي يمتاز بقوة الشخصية والتبسيط في إعطاء المعلومة الآثارية، ويروي أبو الصوف قصة حقيقية تعطينا صورة واضحة لموقف طه باقر ونظرته إلى آثار بلده وتلامذته:

فيقول:

- ذات يوم يسمع طه باقر نشيجاً يتعالى من وراء تل آثاري ويركض مع الطلبة بحثاً عن مصدر النشيج: ماذا حل بك يا بهنام؟ فيجيبه بهنام: من ذا الذي يجرؤ على الإيغال في داخل هذه الغابة فهنا كنوز آثارنا، فقال له طه باقر: (وخمبابا) شيخ العفاريت ماذا تقول له في هذه الغابة، قال بهنام: لقد قتله جلجامش من قبل، لا.. لا يا بهنام هناك في كل عصر (خمبابا) جديد فليس بجلجامش واحد يقدر على قتل (خمبابا) العصر يراد لنا الآن جلجامشيون عديدون في القضاء على العفريت الأول، وأدرك بهنام سر اللغز في قول أستاذه طه باقر، أدرك إن الاستعمار لا يريد لنا تحرير أرضنا والبحث عن كنوز آثارنا، إلا إذا اجتمعنا موحدين، نشهر السيف موحدين ونقتل العفريت، إذ ذاك تلتمع الأرض وندخل الغابة سالمين. إنه الأب الحقيقي لمعظم الآثاريين العراقيين إذا قيض أن ينتسبوا إلى أساتذتهم وله جمع صفات إنسانية محببة قلما تجتمع في إنسان.

صورة اخيرة

انتهز أساتذة قسم الآثار بكلية الآداب فرصة بلوغه السادسة والستين من العمر فأصدروا عدداً من مجلة الآداب خاصاً بالأستاذ طه باقر حيث كتب ١٢ باحثاً موضوعاتهم تحية له في موضوعات تخصصاتهم وكان العدد برقم ٢٣ ملحق ١٩٨٧، وفي الأول من تشرين الأول حيث انعقدت الندوة العلمية العالمية الثانية عن بابل وآشور وحمرين والتي حضرها علماء الآثار والمسماريات من مختلف الأقطار الأجنبية والعربية تم تكريمه بوسام.

وفي النصف الثاني من عام ١٩٨٠ أصيب بجلطة دماغية، سافر إلى لندن برفقة زوجته وعاد بعد شهر على أمل العودة بعد سنة إلا أنه لم يحبذ السفر، وفي بداية عام ١٩٨١ انتكس في صحته وظل معلولاً حتى وفاته يوم ١٩٨٤/٢/٢٨، وتم دفنه في المقبرة الخاصة بالعائلة في النجف الأشرف بعد تشييع يليق بمكانته فقد حملته الاكتاف من بغداد إلى الحلة ثم النجف وأصدر اتحاد المؤرخين العرب بياناً نعى فيه الراحل وكذلك فعل المجمع العلمي العراقي كونه نائباً لرئيسه وأقيمت له أربعينية في كلية الآداب وبعد مرور عام أقيمت له محاضرة في اتحاد الأدباء ونسي الراحل كما نسي العديد من رموزنا.

العلامة طه باقر وملحمة جلجامش

ناجم المعموري

واجهت اثناء اشتغالي على ملحمة جلجامش قطيعة في النص، تبدت لي واضحة، قطيعة انتجها الجنس بوصفه طقساً وممارسة دينية، تميزت بوظائف لها علاقة مباشرة بالحياة وتطور حركتها. من هذا ندرك بان العراقي القديم لم يتعامل مع الجسد بوصفه بؤرة للمتع الحسية وانما باعتباره مكاناً مقدساً تتم من خلاله العلاقة مع الحياة والكون واحترام العقائد والطقوس، هذه معاً تفضى إلى اعادة انتاج الإنسان أيضاً ومثلما حصل مع انكيدو، الرجل البري والمتوحش وكيف تمكنت البغي المقدسة من اعادة صياغته بشكل مختلف تماماً، وجعلت منه انساناً متحضراً، ومختلفاً عن لحظته الأولى، التي قادته للقاء البغي، المرسلة اليه من المعبد، حاملة معها نظامها الثقافي / والديني، وهو كل ما كان لديها منحة لها من المجال الحضاري الذي كان سائداً. إضافة إلى الطاقة الشهوية الكامنة في جسدها الذي كان مهيأً لممارسة دوره في التغيير، وتحقق فعلاً بعد اللقاء مع انكيدو.

فأسفرت البغي عن نهديها وكشفت عن عورتها

فتمتع بمفاتن جسمها

لم تحجم بل روادته وبعثت فيه الشوق

نضت عنها ثيابها فوقع عليها

وعلمت الوحش الغرفن المرأة

فانجذب اليها وتعلق بها

لبث انكيدو يتصل بالبغي ستة ايام وسبع ليال / ص٨٣

لقد حققت البغي وظيفة عراقية سامية، وظيفة الانتصار في تحويل العناصر الحيوانية، المتوحشة إلى خصائص بشرية، وتأكدت أيضاً قدرة الجسد اللذي وامكاناته التربوية عبر الجنس والثقافة على احداث التغيير وتبدت طاقته وقدرات المقدس فيه، لان لحظة انفتاح الجسد المقدس مؤطرة بالالهي الذي فوضها -بالاتصالات الداخلية. وظل جسد البغي مقدساً بعد ان اشبع انكيدو لذائذه منه ولم يكن نيويا، بل هيمن عليه الالهي / المقدس وصار بعضاً من وظائفه لذا كان الانحراف نحو الطبيعة البشرية سريعاً، وانجزت البغي واحدة من اهم تمثلاتها الدينية للالهي المقدس ونجحت بذلك وكانت نتائجه سريعة.

فأجاب انكيدو البغي وقال لها:

هلمي ايتها البغي، خذيني إلى البيت الطاهر، مسكن آنو وعشتار حيث يحكم جلجامش الكامل الحول والقوة

والمتسلط على الناس كالثور الوحشي

وانا سأتحداه واغلظ له في القول

وسأصرخ في قلب اوروك: انا اقوى

اجل! انا الذي سأبدل المصائر

ان الذي ولد في الصحراء هو الاشد والاقوى / ص٨٤

دخل الوافد الغريب في صراع مباشر مع الملك في اللحظة التي دخل اوروك وعند الطريق إلى معبد اشخار، حيث الاتصال الجنسي مع الآلهة / الكاهنة اشخارا التي هي تمثيل للالهة عشتار في عناصرها الجنسية والشبقية. وقف انكيدو بوجه الملك، ومنعه عن ممارسة طقوسه الملكية المقدسة، الممنوحة له من الالهة.

اشار الأستاذ العلامة طه باقر إلى رأي سيروس جوردن، وهو عالم متخصص ومعروف بالكنعانيات والمتضمن (... ولما كان جلجامش يتهيأ للقيام بهذه الشعائر صادف مجيئ انكيدو، فتصدى له ومنعه من دخول المعبد، ولعل انكيدو اراد هو ان يقوم بذلك الدور فنشبت المعركة بين البطلين وكانت بطريقة المصارعة) ويثير هذا الرأي دهشة ولا أدري كيف اقتنع به الراحل طه باقر؟ هل كان السبب هو ملاحقة الآخر والسعي للاتصال به والنقل منه والاستفادة من ملاحظاته، حتى ولو كانت مثل التي ثبتناها، وانا اكثر استغراباً لمقالة سيروس جوردن واكده نقلياً الراحل طه باقر. والسبب هو ان طقس الزواج المقدس، ممارسة الهية فقط ولا يسمح به لغير الالهة والملوك الذين يمثلون الآلهة على الارض، ولا يمكن ابداً لغيرهم مزاولة طقس الجنس المقدس، ولكن للتراتبية الموجودة في الطقس والتي تبدأ بالالهة - الملوك - الكهنة.. يكون لها امتداد تواصلي نحو الاسرة ومن خلال علاقة الزوج بزوجته، لان اتصالهما يشف عن امتداد اوسع لاتصال الالهة. ولا يجوز لانكيدو ممارسة طقس الجنس المقدس كوظيفة خاصة به، وانما بامكانه ممارسته بعد الدخول إلى اوروك متعة لذية فقط. وباختصار شديد فان طقس الزواج المقدس، طقس الهي حصراً حتى يحوز وظائف ذات صلة مباشرة بالخصب والرخاء والسعادة والحفاظ على توازن الفصول وحركتها الطبيعية بدقة، وانسيابية كل شيء، خضوعاً لنواميس الالهة وسلطتها. لذا من غير المسموح به ممارسة انكيدو له. ولان الأله انليل اختار الملك جلجامش وهو الوحيد المخول بمزاولة الطقس:

ورفع انليل رأسك عالياً على الناس

وقدر اليك الملوكية على البشر / ص٩٣

وجلجامش وحده يعيد من جديد تمثيل الالهة في طقس الجنس المقدس والذي يعني زواجاً الهياً، وتؤدي احدى الكاهنات تمثيل دور الأله عشتار. الملاحظة الاخرى هي: لم يكن انكيدو ساذجاً وبسيطاً للدرجة التي اشار لها سيروس جوردن، بحيث اراد الدخول إلى المعبد ويؤدي دور الاله / الملك، لانه دخل اوروك في اللحظة التي ادركت بها البغي بانه تحول تماماً، وصار انساناً مختلفاً:

فرح الابطال وهللوا قائلين:

لقد ظهر بطل ند وكفء للبطل الجميل

اجل ظهر لجلجامش، الشبيه بالأله، نظيره ومثيله / ص٩٣

لم تكن الندية بينهما تعني التماثل بالقوة، بل الاشتراك معاً بخصائص واحدة من الفهم والوعي، لانه - انكيدو - تلقى كل شيء عبر علاقته مع البغي.

"وصار فطناً واسع الحس والفهم" أو "صرت تحوز على الحكمة يا انكيدو مثل اله". ولا يحتاج النص إلى تفصيل لما ينطوي عليه من دلالة، وهو مكتف بذاته، ومن غير الممكن ثقافياً ودينياً ممارسة انكيدو لطقس الزواج الالهي لانه بذلك سيخترق الالهي ويدنسه.

وأؤكد بان احد اسباب تخليقه وما حصل معه يمثل استجابة لوظائف اموية، غايتها تكريس نظامها الثقافي والديني. ولذا فان ملاحظة سيروس جوردن ليست جديرة بالاشارة لها، واهتمام طه باقر بها متأت من الدهشة ببريق الآخر.

وعودة لملاحظتنا عن القطيعة المعرفية في النص الملحمي والتي ابتدأت في اللحظة التي دخل فيها انكيدو إلى مدينة اوروك، حيث مارس فعلاً معاكساً لوظيفته التي حصل تأهيل له من اجلها، وهي وظيفة مناصرة الالوهة المؤثثة، والدفاع عنها، لكن ما حصل هو مضاد لذلك، وحماسته في منع الملك جلجامش من تأدية وظيفته السياسية والدينية وصار انكيدو سبباً بتعطيل طقس الزواج الالهي الذي غاب تماماً عن النص الملحمي، وغابت معه ممارسة الاتصال الادخالي المتعي واللذي وقاد الذي اعلن انكيدو قطيعة معه إلى حصول متغيرات ثقافية ودينية كبيرة، وان لم يكن النص بعيداً عن تمثيل حالة الصراع الدموي واشتباك عناصر المجال الحضاري، والذي حسم لصالح النظام الثقافي الشمسي / البطرياركي.

ومن المسكوتات المهمة في الملحمة:

ثم طلع النهار فقص انكيدو رؤياه على جلجامش قائلاً:

يا صاحبي أي حلم عجيب رأيت الليلة الماضية

رأيت ان "آنو" و"انليل" و"ايا" وشمش السماوي قد اجتمعوا يتشاورون وقال: آنو لانليل:

لانهما قتلا الثور السماوي وقتلا خمبابا فينبغي ان يموت، ذلك الذي اقتطع اشجار الارز من الجبال.

ولكن انليل اجابه قائلاً:

ان انكيدو هو الذي سيموت، ولكن جلجامش لن يموت. ثم انبرى شمش السماوي واجاب انليل البطل وقال:

الم يقتلا ثور السماء وخمبابا بامر مني فعلام يقع الموت على انكيدو وهو برئ؟! / ص١١٨

المسكوتات الفكرية واضحة في هذا النص، وهي ذات هيمنة دلالية قادرة على الكشف واضاءة النظام الثقافي والديني الاسومي، وتمثل هذا الكشف عبر غياب الالهة الام "اروورو عن اجتماع الالهة في مجلسهم، لانه من غير المنطقي حضور الام لاجتماع الالهة الذي تقرر فيه اغتيال انكيدو الذي خلقته وشكلته من جديد بناء على طلب الاله انو اليها.

حتى لا يحصل تداخل بين العناصر الانثوية والذكورية المتميزة بوظائف خاصة بها، وعلى الرغم من ان آنو / انليل / ايا / اروورو الهة ذات وظائف تخليقية، لكن آنو لم يتجاوز على الأمم الكبرى وطلب منها تخليق شخص يقف نداً وغريماً للملك الطاغية.

لم تحضر اورو الاجتماع حتى لا توافق على مؤامرة اغتيال الابن وهذا مسكوت عنه لم تشر له الدراسات السابقة وربما لانها لم تكن معنية باللسان المقطوع في النص الملحمي والذي تجسد أكثر في حضور الاله "ايا" الاجتماع وظل حضوره هامشياً، ولم يتخذ قراراً واضحاً بالموافقة أو الرفض، بل التزم الصمت. وانا أكثر ميلاً للترجمة الفرنسية التي قام بها العالم المعروف رينيه لابات المنشورة ضمن كتاب (المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين) والذي ترجمه كل من البير ابونا + د. وليد الجادر.

(اسمع اذن الحلم الذي رأيته هذه الليلة انو وانليل وشمش السماوي كانوا يعقدون فيه المشورة) لابات / ص٢١٦

لم يكن الاله "ايا" حاضراً الاجتماع في نص لابات. وصمته الكامل في نص طه باقر لا يختلف عن عدم وجوده، لانه ارتضى تعطل وظائفه وكان وجوده ضمن الالهة في الاجتماع شكليا ولم يقل كلمة واحدة، بينما اختلف انو وشمش مع الاله انليل حول قراره المسبق باغتيال انكيدو.

لم يكن الاله ايا حاضراً اجتماع الالهة، على الرغم من انه احد عناصر البانثيون العراقي القديم، والسبب الذي منعه من الحضور هو السبب ذاته الذي استبعد وجود الالهة "اروورو" لان الاله ايا، اله الحكمة والعقل والمعني بمناصرة الإنسان والساعي لإنقاذ الجنس البشري من الفناء ودمارات الموت، كما في اسطورة اترا حاسس وطوفان الملحمة واسطورة شوكايتودا وملحمة إيرا وحينما كنا في العلا وايضاً كما في اسطورة انكيدو والعالم الاسفل.. الخ ولان الاله ايا عرف نوايا الاله انليل المسؤول التنفيذي في مجلس الالهة وقراره باغتيال انكيدو، رفض حضور الاجتماع أو لم توجه له الدعوة من قبل الاله انليل. لكن ما يثير الاستفهام هو الحضور الطاغي للاله انكي / ايا في كل الاساطير والملاحم التي اشرنا لها، حتى انه لم يخف من إعلان اختلافه مع الاله انليل ملحمة اكراحاسس ورواية الطوفان.

ولان الاله انليل يعرف جيداً الاله انكي / ايا واصراره على وظائفه المعروفة لم يوجه له الدعوة لحضور ذلك الاجتماع. وغيابه عن النص الفرنسي الذي ترجمه كل من لابات وانيس فريحة يعني وجود نص اصلي لم يكن ايا حاضراً فيه الاجتماع وانا أكثر ميلاً لغياب الاله ايا.

لم يكن حضور اجتماع الالهة تمثيلاً لانتظام سلطة الالهة فقط بقدر ما يعني تجسيداً للضوابط المكونة لنظام كل اله من الالهة، وتبدياتها عبر وظائفها التي لم يكن سهلاً اختراقها أو خلخلتها.

لذا فان غياب الاله "ايا" في ترجمتي "لابات / وانيس فريحة" وكلاهما ترجما النص مباشرة عن الفرنسية ينطوي على دلالات ذات صلة بطبيعة الصراع الجديد الذي اوحت به الملحمة وجسدته لاحقاً، من خلال تطوراتها، لان نص الملحمة مدونة خاصة بمرحلة حضارية كاملة واستوعبت مجالاً ثقافياً ودينياً مهماً، لذا كانت المدونات الكثيرة للنص خاضعة لشروط التغيير على الرغم من ان الاختلاف، يبدو بسيطاً لكنه مهم للغاية، والنصوص المهمة كافية لاضاءة عصرها ومرحلتها الدينية مثلما في ملحمة الخليقة البابلية وملحمة جلجامش / اغتصاب انانا / عشتار / واسطورة آدابا... الخ.